



إريك فروم باعث سقراط (*)

عندما طلب مني "راينر فونك" السنة الماضية المشاركة في أشغالكم بمعالجة موضوع من اختياري في إطار الموضوع العام المختار: "إريك فروم وحوار الثقافات"، ترددت في الجواب بالإيجاب في أول الأمر، على اعتبار أنه كان يهياً لي بأن هذا الموضوع، الذي أصبح محط اهتمام حالياً بالنظر إلى أطروحة صدام الحضارات لسامويل هونتينيغتون Samuel Huntington، لم يكن يدخل في إطار اهتمامات فروم الذي قرأت له وتعرفت عليه شخصياً، على الرغم من أنه كان يعمل من أجل لقاء الناس والثقافات، ويجد هذا تعبيره الواضح في اشتراكه الإنسانية⁽¹⁾.

طلبت من راينر مهلة للتفكير، وعندما كان علي الجواب لم يكن هناك إلا كلمة واحدة شغلتنني: الحوار. وبفضل تلخيص عقلي فرض علي موضوع الحوار السقراطي. اتصلت به لإخباره بالموضوع وبقي برهة

(*) الدكتور جيرار خوري. مفكر لبناني مرموق مقيم في فرنسا.
ترجمة د. حميد لشهب.

(1) Socialist Manifesto and Program (1960 document personnel remis par Erich Fromm en août 1960 à Cuarnavaca) et Socialism Humanism, an International Symposium, edited by Erich Fromm, Doubleday & Company, INC, Garden City, New York, 1965.



مشلولا قبل أن يطلب مني أن أرسل له في بضعة سطور دوافع اختياري هذا. كتبت له التالي: "لقد كان فروم رجل حوار سواء في علاقاته الإنسانية أو في عمله التحليلي. وأعتقد أنه ينتمي إلى التقليد الفلسفي السقراطي والأفلاطوني. فالحوار والشعور بالآخر l'empathie هما وسيلتان للتعرف على بعضنا بعض. إضافة إلى هذا فإن فروم كان المتمم على الصعيد الاجتماعي والسياسي لرجال التنوير للقرن الثامن عشر، فاتحا بذلك الطريق لمعرفة العالم عن طريق العقل، وإلى إمكانية معرفة الذات ومعرفة الآخر دون فقدان القدرة على الإحساس بالعواطف وبالمشاعر. لقد نبه فروم سيكولوجيا واجتماعيا إلى خطر الانعزال وصعوبة عقد علاقات مع الآخرين في المجتمعات المصنعة. و يمكن بهذا أن نستنتج بأن فروم كان بعيدا عن التصورات الحالية لصدام الحضارات"⁽²⁾.

ظهر لي بجلاء بأن ما كان يميز منهج إريك فروم، سواء على الصعيد الشخصي أو على مستوى التحليل النفسي كان موسوما بموضوع التبادل مع الآخر، وبالعلاقة المركزية معه، و بالشعور بالآخر وب l'insight، وكلها أشكال للحوار للسماح بمعرفة الآخر ومعرفة الذات في بعدهما الواعيين واللواعيين، شريطة ألا تكون هذه العلاقات الفردية الأساسية معزولة عن الطبع الاجتماعي caractère social الضروري البنوي constitutionnel أو البيولوجي.

(2) J'ai répondu à Rainer Funk un e-mail en anglais: "Both in his human contacts and in some way in his analytical technique, Erich Fromm is a man of dialogue in the Socratic and platonic philosophical tradition. Dialogue and empathy are means to know each other. On the social and political grounds, he is also a follower of the 18th Century Enlightenment, opening the way to the rational knowledge of the world, to the possibility of understanding oneself and the other without losing the capacity of emotions and feelings. Psychologically and socially he stresses the dangers of being separated and incapable to be related to others in the industrial countries. Fromm's conception of the world is far away from the actual theories of the antagonism of civilizations." J'ai donc traduit ce passage en français



أحسست بسرعة بأن جوابي العفوي كان جريئاً. ماذا يجمع بين إريك فروم وسقراط؟ عن أي طريق قصير كان يمكنني تصور علاقة مشتركة بينهما؟ كيف يمكن الجمع بين القرن الخامس قبل الميلاد بألمانيا والقرن العشرين، لحظة ولادة إريك فروم سنة 1900 ووفاته سنة 1980؟ فلتتبع الأفكار عبر العصور قد تظهر لي ممكنة، على الرغم من وجوب انحرافها *décliner*. وقد أنقذني فروم، ألا يبدأ هو كذلك بتراكيبات تجمع الحاضر بالماضي فيما يتعلق بالإنسان الغربي؟

في مداخلته في المؤتمر العالمي للتحليل النفسي يوم 9 شتبر 1961 وتوسيعه لهذه المداخلة بدوسلدورف عالج فروم موضوع "الإنسان المعاصر و مستقبله". وقد قال بأنه لكي يعالج موضوعه بإمكانه أن يعالج الإنسان المعاصر، بمعنى كل أناس القرن العشرين، أو معالجة الإنسان الغربي في مقابل إنسان آسيا وإفريقيا، وهذا ما قام به بالفعل. وهكذا، جمع فروم بين ما أصبح عليه الإنسان المعاصر، وما كان عليه قبل ثلاثة ملايين من السنين، مفضلاً تصوراً تطورياً للإنسان، ومذكراً بأن هذا الإنسان قد بقي كما هو منذ نشأته، يعني أنه من طبيعة إنسانية. وقد حدد بصفة عامة - وكما قال بشكل مبسط - مراحل تطور: تمتد المرحلة الأولى من عام 1500 قبل الميلاد إلى العهد المسيحي، وتميزت بالمرور من عبادة الأصنام إلى الديانات الإنسانية. والمرحلة الثانية هي مرحلة الخلاص التاريخي الذي نجده في النبوة المسيحية. كان الإنسان موحداً مع الطبيعة في الجنة في حالة براءة حيث لم يكن واعياً بنفسه، وعندما لم يطع أوامر الله، يعني عندما أصبح قادراً على قول لا، فإن الإنسان أصبح واعياً بنفسه وحصل على حريته. ويمر فروم إلى المسيحية ليذكر بأنه ينظر إلى التاريخ "باعتباره صلحاً" للإنسان مع الله. وقد نشأ هذا



التقريب الجديد في فلسطين ومر إلى روما ومنها إلى أوروبا. ويشير بأن العقيدة المسيحية كانت استمرارا لفكر النبوة المسيحية، وبأن تاريخ المسيحية كان هو تاريخ تحرير الإنسان. يقول فروم: "يتحقق في الكنيسة المسيحية اجتماع ذو معنى تاريخي كبير: الفكرة اليهودية للصالح، على شكل نبوة مسيحية، مرتبطة بالفكرة الإغريقية للعلم والنظرية. فجمع فكرة الصالح النبوي المسيحي مع الفكر الإغريقي - يعني فلسفات أرسطو وأفلاطون- يشكل شيئا جديدا، شيئا تطلب ألف سنة لكي ينضج في أوروبا. وقد دامت هذه الصيرورة من نهاية روما المشركة (في القرن الرابع) إلى نهاية العصر الوسيط الأوروبي، فقد أخصبت أوروبا لمائة ألف سنة بهذا الإرث اليوناني-الروماني واليهودي-المسيحي. وبعد ألف عام ازداد شيء جديد من صلب أوروبا: المجتمع الحديث"⁽³⁾.

وأضيف من جهتي توضيحا مهما جدا: لقد مر الإرث الإغريقي عن طريق تمرير العرب للنصوص الإغريقية التي وجدت في ذلك الوقت وترجمت في عهد الإمبراطورية العباسية في بغداد. لم يعد من الضروري البرهنة على تأثير ابن رشد، وقد حان الوقت لإشراك التأثير العربي في هذا النضج الممتد من روما المشركة إلى العصر الوسيط، وهو إشراك يعجبني التأكيد عليه اليوم في هذا البلد المغاربي"⁽⁴⁾ [المقصود المغرب

(3) Erich Fromm, *On being Human*, with a foreword by Rainer Funk, Continuum, New York, 1994, p. 19: Here in the Catholic Church, a union of great historical significance was achieved: The Jewish notion of reconciliation, in the form of prophetic messianism, was coupled with the Greek idea of science, of theory. This union of the prophetic-messianic notion of reconciliation with Greek thought - let us say, the philosophies of Aristotle and Plato - constituted something new, something that grew to fruition in Europe over the course of 1.000 years. This process of fruition lasted from the end of pagan Rome (in the 4th century) until the end of the European Middle Ages. For approximately 1.000 years, Europe was pregnant with a Greco-Roman and Judeo-Christian legacy. Then, after 1.000 years, something new was born from the loins of Europe: modern society. Note de l'auteur : Tous les textes d'Erich Fromm sont traduits de l'anglais par moi.



حيث عقد اللقاء، إضافة المترجم لتستقيم العبارة].

مع بزوع المجتمع الحديث في هذه المرحلة الثالثة، نصل إلى زمن النهضة المتميزة حسب بوركهارد Burckhardt باكتشاف أو بالأحرى إعادة اكتشاف الفرد والطبيعة في استمرارية العهد القديم اليوناني والروماني. وقد تطور في هذه الحقبة، بموازة ميلاد علم جديد، تصور آخر للنبوة المسيحية على شكل أوتوبيا: عوض تحقيق حياة أحسن في نهاية العالم، فإن الحلم الأوتوبي –حلم طوماس مور الذي اخترع كلمة "أوتوبيا utopia- يريد أن يحقق عالما أحسن في هذا العالم.

لقد أصبح إنسان النهضة بالنسبة ل فروم إنسانا واعيا بقوته وبدأ بالتححرر من قيود الطبيعة ومحاولة السيطرة عليها. وكان يظهر بأن القرن التاسع عشر قد وصل وحقق هذه السيطرة، تلك التي تتيح للإنسان القضاء على الحرب وإنتاج الوفرة. قال فروم: "كان يظهر أن التصور اليسوعي للمجتمع الخير، للمجتمع الإنساني، قد نضج في القرن التاسع عشر. فقد كانت الإنسانية محكومة إلى حدود الحرب العالمية الأولى بالاعتقاد في تحقيق آمالها وأفكارها. ولم تفقد هذه الآمال أي شيء من قوتها ومن تأثيرها منذ زمن الأنبياء"⁽⁵⁾. [ما يقصده فروم بالأنبياء هنا هم أنبياء العهد القديم، أي التوراة. انظر نص مداخلة د. لشهب في هذا

(4) Pierre Hadot, *Eloge de la philosophie antique*, Edition Allia, Paris, 2006, p. 26 : « Cette synthèse néoplatonicienne, grâce à des auteurs de la Basse Antiquité, mais aussi grâce aux traductions arabes et à la tradition byzantine, dominera toute la pensée du Moyen Age et de la Renaissance, et elle sera, en quelque sorte, le dénominateur commun des théologies et mystiques juives, chrétiennes et musulmanes. »

(5) The messianic vision of the good society, of the human society, appeared to come to fruition in the nineteenth century. Until the First World War, European humanity was ruled by its belief in the fulfilment of these hopes and ideas. These same hopes and ideas had lost neither their power nor their influence even from the time of the prophets." Ibid, p. 20.



الكتاب. زيادة المترجم للتوضيح.]

وقد استنتج فروم تقريرا خطيرا للقرن العشرين: يعد الإنسان الغربي في خطر بعد الحربين العالميتين ولا إنسانية النظام النازي والفاشي وقد يمحي هذا الإنسان. فبعد مجزرة حرب 1914-1918، فقد كل أمل في المستقبل.

ومنذ 1961، تاريخ هذه المحاضرة لفروم، لم يكف الإنسان الغربي عن تحمل تصاعد سلبيات العصر الصناعي⁽⁶⁾ مع نتائج العولمة وتصلب النظام الرأسمالي الذي مر من رأسمالية صناعية إلى رأسمالية مالية دون أي تحكم في ذلك على الصعيد العالمي، وتفاقم اللاتوازن في عموم العالم الغربي الذي يعيش في استهلاك كبير وفي الأشكال المحترمة للامتلاك التي انتقدها فروم. ماذا يجب قوله عن مسح قيم الأنوار وعن هذا الشكل المتقهقر للعلمانية ورجوع الدين في أشكال متطرفة، سواء في العالم الغربي مع المحافظين الجدد و"المولد الجديد للمسيح Christian born again" في الولايات المتحدة الأمريكية، والإسلام واليهودية المتطرفين في الشرق الأوسط؟⁽⁷⁾

وإذا كان سقوط حائط برلين ونهاية الاتحاد السوفياتي قد أيقظا الأمل في نظام عالمي جديد، وإذا كانت نهاية المواجهة النووية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية قد طبعت هذا الأمل،

(6) Bien entendu, en contrepoint les valeurs radicales de l'humanisme frommien sont à rappeler : l'indispensable quête de la vérité sans laquelle il n'est pas de vie digne de ce nom, l'exigence de l'autonomie de la capacité de vivre sa liberté et l'esprit critique qu'elle implique, indissociables de la santé mentale. La société occidentale contemporaine a mis à mal, pour Fromm, ces valeurs par la tentation faite à l'homme de s'adapter pour profiter des leurre de l'Avoir, faisant de lui un être aliéné à la consommation, souvent dépendant du pouvoir d'un seul supposé lui octroyer en retour l'illusoire sécurité de la dépendance.

Georges Corm, La question religieuse au XXI^e siècle, La Découverte, Paris, 2006(7)



فإن الانتشار النووي الحالي، وخاصة في كوريا وإيران، يمثلان انشغالا أكبر خطرا، على اعتبار أنه بالإمكان أن المعنيين الجدد بالأمر قد لا يمثلون إلى قاعدة توازن الرعب. واحتمال استعمال السلاح النووي أو الكيماوي في التصعيد بين العالم الغربي والعالم المسلم هو خطر يكبر يوميا طالما لم نسو، بعدل، المشاكل المتراكمة للدول العربية، وبالخصوص المشكل الإسرائيلي العربي. واللجوء إلى القوة –

وإيديولوجية المعارضة الثنائية- لن يحل هذه المشاكل، لكن المفاوضات والحوار في عالم العولمة من شأنه النجاح في ذلك.

إذا كان بالإمكان، مع فروم، نسج علاقة مغامرة الإنسان الغربي ابتداء من اليونان القديمة إلى يومنا هذا، فلماذا لن يكون ممكنا الدفاع - وهذا ما سأقوم به- عن كون فروم يؤيد فكرا ووضعا إنسانيا وأخلاقيا استمرارا لسقراط والفلاسفة اليونان؟. عند إعادة قراءة كتاب "فن الإنصات The art of listening" المنشور سنة 1994 بتقديم من راينر فونك الذي سهر على نشره، انتبهت أنني لم أختار طريقا خاطئا، وبأن إريك فروم كان لأسباب كثيرة من تركة الفلسفة الإغريقية السقراطية، والتي يرجع لها لتأسيس أهداف التحليل النفسي: "ما هو هدف التحليل النفسي؟" يتساءل فروم. "إنه سؤال بسيط جدا يمكن فيما أعتقد الجواب عنه ببساطة كذلك".

معرفة النفس بالنفس. بالفعل، فإن "اعرف نفسك بنفسك" هو حاجة إنسانية قديمة. فابتداء من الإغريق والعصر الوسيط وصولا إلى الوقت الحاضر نجد أن "اعرف نفسك بنفسك" هي أساس معرفة العالم - أو كما يعبر عن ذلك إيكهارت Maître Eckhardt بطريقة تعسفية- الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله ومعرفة النفس. إنها من بين الأماني القديمة



للإنسان" (8).

وجدت المواضيع التي تطرق لها فروم في مؤلفات سابقة، وبالخصوص "الإنسان أمام نفسه Man for Himself". وفي هذا الكتاب "فن الإصغاء" لا يرجع فروم للفلسفة الإغريقية وحسب، لكن إلى كل فلسفة وكل دين. يقول: "من الصعب جدا تغيير النفس بالنفس وتحقيق تغيير فعلي للطبع الشخصي. ويمثل هذا بالفعل هدف كل الديانات ومعظم الفلسفات. وقد كان هذا بالتأكيد هدف الفلسفة الإغريقية وبعض الفلسفات الحديثة، سواء تعلق الأمر بالبوذية أم بالمسيحية أم باليهودية، بسينوزا أم بأرسطو" (9).

1. الحوار السقراطي والفرومي

لنرَ، إذن، كيف أن ضرورة مزدوجة كامنة من سقراط إلى فروم: كيف يمكن الوصول إلى معرفة النفس بالنفس والتغير، وكيف يمكن تجسيد العدل والحقيقة في النفس. ألا تزوج الفلسفة والتحليل النفسي؟ ألا يتكامل الوعي - ليس بالمعنى الديكارتي بعد- واللاوعي من أجل معرفة أحسن للنفس؟ (10).

(8) Erich Fromm, *The Art of Listening*, Continuum, N.Y, 1994, p. 45: What is the aim of psychoanalysis ? Now that's a very simple question and I think there's a very simple answer. To know oneself. Now this " to know oneself" is a very old, human need, from the Greeks to the Middle Ages to modern times you find the idea that knowing oneself is the basis of the knowledge of the world or - as Meister Eckhard expressed it - in a very drastic form : "The only way of knowing God is to know oneself" This is one of the oldest human aspirations(9)

The Art of Listening, p. 71 : It is an exceedingly difficult task to change oneself and to achieve a real - you might say- transformation of character. In fact this has been the aim of all religions, and most philosophies. Certainly it was the aim of Greek philosophy and the aim of some modern philosophies, and it doesn't matter whether you speak of Buddhism or whether you speak of Christianity of Judaism, or of Spinoza or Aristotle.



كيف تصرف سقراط و كيف بدأ فروم العمل في مغامرة معرفة الإنسان لنفسه؟

بالنسبة لسقراط فإن الحوار يسمح بالوصول إلى الروح *l'esprit*⁽¹¹⁾ الواعي، وبالنسبة لفروم فإنه يفتح الطريق إلى اللاوعي لإتمام معرفة النفس فيما وراء العقلانية والمنهج الفكري. فإذا كان لسقراط طريقة لتوليد الروح، ألم يكن لفروم بعد فرويد طريقة لتوليد اللاوعي؟ هذا ما سنحاول رؤيته.

2. من كان سقراط؟

يصور لنا بيير هادو Pierre Hadot سقراط في مدحه⁽¹²⁾ له كالتالي: "يظهر سقراط لمن يكتشفه في شكل محير غير واضح مقلق. وأول صدمة يخصصها لنا هو هذا القبح الفيزيقي له الذي أكدته شهادات أفلاطون وكزينيون Xenophon وأرسطوفان Aristophane ... يشبه

(10) On dit souvent que le fait de placer au centre de la réflexion philosophique la notion de conscience au sens psychologique est une des caractéristiques de la pensée philosophique moderne depuis Descartes. De fait, les Grecs de l'Antiquité n'avaient pas de mot correspondant exactement à ce que la langue française appelle « conscience ». Il ne faudrait pas en conclure hâtivement que les Grecs n'étaient pas conscients de ce qui leur arrivait et encore moins qu'ils ne possédaient ni vie intérieure, ni sens moral. Quand on s'exprime de la sorte, on veut plutôt dire que, pour l'homme grec, l'expérience de l'individu semble davantage tournée vers le dehors que centrée sur l'introspection psychologique et la réflexion sur soi. Autant qu'on puisse en juger, ce qui alors importait étaient les œuvres effectives et les actions. Comme l'écrit l'historien contemporain Jean-Pierre Vernant : « Le sujet ne constitue pas un monde intérieur clos, dans lequel, il doit pénétrer pour se retrouver ou plutôt se découvrir. Le sujet est extraverti [...] Sa conscience de soi n'est pas réflexive, repli sur soi, enfermement intérieur, face à face avec sa propre personne, elle est existentielle. L'existence est première par rapport à la conscience d'exister. » (L'Individu, la mort, l'amour, Gallimard, 1989.)

(11) Pierre Hadot, *Éloge de Socrate*, Allia, Paris, p. 28 : « Mais pendant tout le temps de la discussion, il a expérimenté ce qu'est l'activité de l'esprit, mieux encore, il a été Socrate lui-même, c'est-à-dire l'interrogation, la mise en question, le recul par rapport à soi, c'est-à-dire finalement la conscience. » Socrate (469399- av. J.-C.) Considéré comme le père de la philosophie occidentale, Socrate demeure un personnage énigmatique, car il n'a laissé aucun écrit. .. il apparaît, dans la tradition comme un exceptionnel éveillé d'esprit. »

Editions Allia, 1998, 1999, 2004, p. 19(12)



سقراط الذي نجده في وليمة أفلاطون إلى سيلان [أو نمومة وهو جنس زهر من الفصيلة القرنفلية، إضافة المترجم]"⁽¹³⁾ .

من المفروغ منه أنه لا يمكن مقارنة الهيئة الفيزيقية لفروم ولسقراط، وإذا كان فروم قد قضى أكبر جزء من حياته في الكتابة⁽¹⁴⁾، فإن سقراط لم يكتب شيئا، مفضلا بذلك الحوار على الكتابة. ما كان مهما بالنسبة للآثنين هو أنهما كانا يريدان إيقاظ المخاطب (بفتح الطاء) لرؤية نفسه، لوعي حالته ككائن مفكر ومسؤول عن حياته. يقول فروم: "فيما يتعلق بالعلاج، فإن الشيء المهم في نظري هو تجنيد المريض لإدراك مسؤوليته ونشاطه. أعتقد أن جزءا كبيرا مما نقوم به في التحليل النفسي مؤسس على الحدس/القرينة التي يمتلكها الكثير من المرضى: يعتقدون أنه [أي التحليل النفسي، إضافة المترجم] طريقة تساعد على أن يصبح المرء سعيدا بفضل الكلام دون امتطاء مخاطر ودون عذاب ودون مشاركة نشيطة ودون أخذ قرارات. ولا يظهر هذا السيناريو في الحياة أبدا بما في ذلك التحليل النفسي. لا يمكن لأي أحد أن يصبح أكثر سعادة بالكلام وحتى بالوصول إلى تفسيرات"⁽¹⁵⁾ .

أريد أن أرى معكم كيف بدأ الاثنان، ولماذا يمكن اعتبار فروم في العمق تابعا للتركة الفرويدية والسقراطية في الوقت نفسه. بالفعل، فإننا

(13) Silène et Satyres étaient dans la représentation populaire des démons, hybrides, moitié animaux, moitié humains, qui formaient le cortège de Dionysos, *ibid.*, p. 10.

(14) Fromm disait qu'il exerçait son métier d'analyste l'après-midi, gagnant assez d'argent ainsi, et se réservant la matinée à la lecture et à l'écriture.

(15) *The Art of Listening*, p. 74: For therapy, in my view, the important thing is that the patient can mobilize his or her own sense of responsibility and activity. I think a good deal of what goes on under analysis today is based on an assumption which many patients have : that this is a method in which one gets happy by taking without taking risks, without suffering, without being active, without making decisions. This doesn't happen in life and it doesn't happen in analysis. Nobody gets happy by talking nor even by talking in order to get interpretations.



نمر من "اعرف نفسك بنفسك" من العصر الذي عاش فيه سقراط في أثينا نهاية القرن الخامس قبل الميلاد إلى العصر الذي عاش فيه فرويد في فيينا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع الثورة التي سمحت باكتشاف: "اعرف نفسك بنفسك يا أيها اللاوعي"⁽¹⁶⁾.

لننتقل من سقراط. يتابع هادو Hadot وصفه للطريقة السقراطية بقوله: "... لا يعتبر هذا المظهر الفطيع، القبيح، السفه، الهزلي إلا واجهة، قناع... يتقنع سقراط بنفسه، وهذه هي السخرية السقراطية المعروفة... وقد نجح سقراط في هذا الضمور/الاختباء بطريقة دقيقة إلى درجة أنه تقنع للتاريخ. لم يكتب أي شيء واكتفى بالتحاور وكل الشهادات التي نملك عنه تضره أكثر مما تظهره، لأن سقراط استعمل دائما كقناع بالنسبة للذين تحدثوا عنه.. وبما أن سقراط كان هو نفسه مقنعا (بفتح النون) فإنه أصبح الشخص المستحضر le prosopon [إدخال شخص أو حيوان أو شيء غائب في خطاب ما وإضفاء الصفة البشرية عليه، إضافة المترجم]، القناع للأشخاص الذين كانوا في حاجة للاختباء وراءه. أعطاهم فكرة التقنع واستعمال القناع السخري السقراطي في الوقت نفسه... والنواة الأصلية لهذه الظاهرة هي سخرية سقراط، السائل الملح، كان سقراط يوصل مخاطبيه بأسئلة ذكية إلى الاعتراف بجهلهم. وبهذه الطريقة كان يوصلهم إلى اضطراب كان من الممكن أن يجعلهم يحطون كل حياتهم محط التساؤل"⁽¹⁷⁾.

كان سقراط يلجأ بصفة خاصة إلى المفاجأة التي كانت أسئلته تحدثه و إلى السخرية التي كان يتقن. يضيف هادو Hadot: "إن

(16) La révolution freudienne a complètement changé le regard sur soi en permettant de passer du conscient à l'inconscient

(17) 13-Ibid., p. 11



الحوار السقراطي، وخاصة في الشكل الحاذق والدقيق الذي أعطاه إياه أفلاطون، يميل إلى إحداث أثر مشابه لذلك الذي تحدثه الخطابات الحية لسقراط.

فالقارئ يجد نفسه كذلك في وضعية مخاطب (بفتح الطاء) سقراط، لأنه لا يعرف أين ستقوده أسئلة سقراط. فالقناع السقراطي، الشخص المستحضر le prosopon، المحير وغير المفهوم يحدث الاضطراب في نفس القارئ ويقودها إلى وعي يمكن أن يصل إلى الارتداد conversion⁽¹⁸⁾ الفلسفي⁽¹⁹⁾.

والنقطة الأساسية في هذه الطريقة هي الطريق الذي يقطعه سقراط ومخاطبه (بفتح الطاء). فسقراط يراوغ بالرغبة في التعلم من مخاطبه، وهنا بالضبط يكمن انخفاض السخرية الشخصية.

لكن في الوقت الذي يظهر فيه أنه يتماثل مع مخاطبه (بفتح الطاء) والدخول نهائياً في خطابه، فإن المخاطب (بفتح الطاء) هو الذي يدخل في الأخير دون وعي منه في خطاب سقراط ويتقمص شخصيته. يعني، وهذا أمر لا يجب نسيانه، يدخل في الإحراج والشك، لأن سقراط لا يعرف شيئاً، إنه يعرف فقط أنه لا يعرف⁽²⁰⁾. في آخر المناقشة لم يتعلم المخاطب (بفتح الطاء) أي شيء، إنه لا يعرف أي شيء على الإطلاق. لكنه على طول وقت النقاش جرب ماهية النشاط العقلي، أكثر من ذلك كان هو نفسه سقراط بعينه، يعني أنه كان التساؤل وموضع

(18) يعتبر المصطلح الفرنسي conversion من المصطلحات الصعبة في الترجمة، لأن له دلالات مختلفة

باختلاف المضامين المستعمل فيها، منها على سبيل المثال الاهتداء دينياً، التوبة، عكس، ارتداد، إقلاّب، دوران على قطب متحرك إلخ. وقد اخترنا استعماله الفلسفي هنا "ارتداد". المترجم.

(19)Ibid., p. 14

(20) يضيف المحاضر هذا التساؤل بين قوسين في مداخلة: [أهذا نوع أولي للتصعيد؟].



السؤال وأخذ مسافة من الذات، يعني في آخر المطاف الوعي. هذا هو المعنى العميق للتوليد la maïeutique السقراطي. و نعرف أن سقراط يحكي في le Théétète بأن له نفس المهنة كأمه. كانت قابلة وتحظر الولادة الفيزيقية، أما هو فإنه قابل الأفكار.”(21)

يكون المحلل (بفتح اللام) -يعني هنا الذي يعاني ويريد فهم مصادر معاناته لكي لا يبقى معوقا ولكي يعيش أحسن- مخاطب المحلل مع من يتشخص في التصعيد. فالمحلل النفسي لا يعرف، مثله مثل سقراط، أي شيء. في الكلام الذي يستمع له بطريقة محايدة. لا يهتم بالخطاب المعقلن - الذي يهتم به بطريقة سطحية - اهتمامه بزلات اللسان lapsus وباللعب بالكلمات وبالأحلام التي تنبئ عن فكر لاواعٍ، وكل هذا هو الذي سيشق الطريق لاكتشاف لاوعي الموضوع(22).

ألا يكون الاختباء وراء القناع السقراطي قريبا من قناع المحايدة الذي يختبئ وراءه المحلل النفسي - مع السرير والمحلل النفسي الذي يوجد وراء المريض- الذي لا تكمن مهمته في شرح ما يمكنه معرفته عن مخاطبه، وليس التخفيف من معاناته، سيحاول بتدرج قيادة مريضه لتجاوز مقاوماته - التي يمكن أن تعبر عن نفسها عن طريق عقلنة حياته وشقائه- والاعتراف بأنه لا يعرف عن نفسه أي شيء. وسيستحوذ الشك والقلق على حياة المحلل (بفتح اللام) قبل أن تفتح خيوط اللاوعي. ألا يكون المحلل النفسي كسقراط: "مسائلا أبديا، يقود مخاطبيه بأسئلة ذكية إلى الاعتراف بجهلهم. كان يملأهم باضطراب يمكن أن يقودهم

(21)29-Ibid., p. 28

(22)The Art of Listening, p. 30: "I think a severe neurosis is never cured unless you have, as Freud said, unearthed or uncovered sufficient unconscious and relevant material



إلى جعل كل حياتهم موضوع تساؤل.⁽²³⁾

على عكس فرويد، فإن فروم لن يحلل وهو جالس وراء المريض، لكنه سوف يكون وجهها لوجه معه في وضعية حوار وفي علاقة مركزية.⁽²⁴⁾ يقول فروم: "كان الاستماع إلى شخص ما لا أراه لمدة ساعات يتعبني. فتعبير الوجه هو وسيلة تواصل جد مهمة. إذا استمعت فقط لما يقال، حتى وإن افترضنا أنني آخذ الصوت بعين الاعتبار، لأنني أخسر الكثير من المؤشرات إذا لم أر المريض. عندما أخذت تعبي بعين الاعتبار تساءلت عن مصدره واعتقدت بأن الحل قد يكون في مسافة أصغر بين المريض وبينني، وإلا فإنه لن يكون في تواصل مباشر معي، لكن كان يظهر لي أنه كان يتكلم في الصحراء. غيرت الطريقة ولم أعد أتعب أبدا. لم أكن في هذه الوضعية أحاول الاختباء، على الرغم من أنني كنت أميل دائما إلى تقليص تعبير ردود أفعالي لكي لا يضطرب المريض". [تفتقر العبارة إلى التوثيق]

ويؤكد فروم بأنه لا يمكن عمل أي شيء إذا لم تكن هناك محاولة فعلية ومشاركة نشيطة للمريض. فلا يتعلق الأمر في التحليل النفسي بإيجاد مكان للحديث عن الذات بطريقة نرجسية أو بـ"الثروة" المجانية، ولا بانتظار المساعدة المباشرة من المحلل النفسي، وهذا لا يعني أن

(23) Eloge de Socrate, p. 16

(24) Revoir Freud, p. 165: « Q: Dans les relations avec le patient, vous avez donc atteint un degré d'empathie tel que cela vous impose une approche totalement différente – sur le plan méthodologique de l'analyse – de cette attitude de neutralité de l'analyste proche des sciences expérimentales du XIX^e siècle?

R: C'est vrai qu'on est plus proche de la rencontre de deux être humains qui par hasard se parlent et s'intéressent l'un à l'autre, mais où l'intérêt se porte plus principalement sur A- le patient- que sur B- l'analyste. En principe la situation pourrait être inversée. On pourrait même aller plus loin et dire que l'analyste non seulement analyse son patient, mais est analysé également par lui. »



المحلل يبقى أحرص و دون إحساس اتجاه المريض. يعتقد فروم، إذن، بأن هناك أوضاعا يجب على المحلل النفسي أن يكون فيها "مرشد جبال جيد لا يمل في تسلق الجبال، لكن بإمكانه أن يقول بعض المرات: "هذه الطريق أفضل" ويستعمل في مرات أخرى يديه للمساعدة، و هذا كل ما يمكنه عمله".⁽²⁵⁾ ولم يكن سقراط يترك مخاطبه دون مساعدة عندما تأتي لحظة صعبة: "في كل الحوارات السقراطية الأفلاطونية تقريبا تظهر لحظة أزمة تطغى على المخاطبين (بفتح الطاء). لا تبقى لهم الثقة في إتمام المناقشة ويهدد الحوار بالانقطاع. في هذه اللحظة يتدخل سقراط: يأخذ على عاتقه اضطراب وشك وقلق الآخرين ومخاطر المغامرة الديالكتيكية، وبهذا يقلب الأدوار. إذا لم يكن هناك نجاح، فإنه هو الذي يتحمل المسؤولية. يقدم للمخاطبين بهذه الطريقة عكسا لأنهم ويستطيعون بهذا تصعيد اضطرابهم على سقراط، وإعادة إيجاد الثقة في البحث الديالكتيكي، في اللوجوس le logos بذاته"⁽²⁶⁾.

من الأهمية بمكان بالنسبة لفروم أن يشعر المحلل النفسي بما يشعر به المحلل (بفتح اللام) ويؤكد على العلاقة الفردية بينهما حيث يتعلم بعضهما من بعض: "لهذا السبب فإنه ليس هناك تحليل نفسي للمحلل النفسي أحسن من الذي يقوم به بتحليله لشخص آخر، لأنه في صيرورة التحليل، ليس هناك شيء عند المحلل (بكسر اللام) تقريبا لا يظهر في الواجهة، بافتراض أنه أو أنها [أي المحللة أو المحللة، إضافة

(25) The Art of Listening, p. 3738: "...Whether he is able to do what a good mountain guide does, who doesn't carry his client up the mountain, but sometimes tells him: 'This is a better road' and sometimes even uses his hand to give him a little push, but that is all he can do."

Eloge de Socrate, p. 14-15. (26)



المترجم] لا يحاول أو تحاول الشعور بما يشعر به المريض.”⁽²⁷⁾

لنر كيف يصف لنا بيير هاردو P. Hardot طريقة سقراط: "إن مهمة الحوار تكمن أساسا في إظهار حدود اللغة واستحالة اللغة في إبلاغ التجربة الأخلاقية والوجودية. لكن الحوار في حد ذاته باعتباره حدثا، نشاطا روحيا، هو تجربة أخلاقية ووجودية. إن الفلسفة السقراطية ليست بناء فرديا لنسق ما، لكنها إيقاظ للوعي ووصول إلى مستوى وجودي لا يمكن أن يتحقق إلا في علاقة الشخص بالشخص.”⁽²⁸⁾

درس كيركيغار Kierkegaard هذه الصيرورة السقراطية بطريقة جيدة: "أن يكون المرء معلما maître لا يعني الجزم بالتأكدات وإعطاء دروس للتعليم إلخ. أن يكون المرء معلما هو أن يكون تلميذا بالفعل. ويبدأ التعليم عندما تتعلم أنت المعلم من المتعلم. عندما تصل [تصل، زيادة المترجم] إلى ما فهمه وبالطريقة التي فهم بها... فالتلميذ هو السبيل للمعلم ليفهم نفسه بنفسه، والمعلم هو السبيل للتلميذ ليفهم نفسه بنفسه. وعند الموت، فإن المعلم لا يمكنه أن يزعم شيئا ما على روح المتعلم، ولا هذا الأخير على روح المعلم... وأحسن طريقة لفهم سقراط هي أن نفهم أننا غير مدينين له بأي شيء، هذا ما كان يفضله سقراط....."⁽²⁹⁾

ألا يعتبر طقس التحليل النفسي بمثابة عدم مديونيتنا للمحلل النفسي بأي شيء أكثر من الالتزام المتفق عليه (القيمة المتفق عليها)؟

لكن معرفة الذات، عند سقراط وعند فروم، ما هي إلا مقدمة: ألم

(27) The Art of Listening, p. 39: "That's the reason why there is no better analysis for analysts than analyzing other people, because in the process of analyzing other people, there is almost nothing which is in the analyst that doesn't come up, that isn't touched, provided he or she tires to experience what the patient experiences."

(28) Eloge de Socrate, p. 54.

Kierkegaard, Riens philosophiques, Paris, Gallimard, 1948, Collection Idées, NRF(29)



يكن هدف سقراط هو هدف الحكيم، يعني العيش طبقا لأفكاره دون قبول ضغط المجتمع الذي يعيش فيه. يقول هادو Hadot كما رأينا: "إن العدل لا يعرف، لكنه يعاش. لا تكفي كل خطابات العالم للتعبير عن عمق الإنسان الذي يختار أن يكون عادلا. لكن كل قرار إنساني يكون عارضا وهشا. عندما يختار الإنسان أن يكون عادلا في هذا الأمر أو ذاك، فإنه يكون لديه الإحساس بوجود يكون عادلا بصفة مطلقة. وسقراط واع بأنه غير حكيم. إنه ليس sophos لكنه philosophos، إنه ليس حكيما، لكن يتوق للحكمة، لأنه محروم منها."⁽³⁰⁾

ويرفض فروم كذلك كل ضغط للمجتمع، ويرفض على الدوام التكيف مع العالم الحالي ومع مجتمع فقد إنسانيته، مذكرا بشروط ظهور مجتمع في ملاءمة مع التقليد الإنساني. ألم يجد فروم منفذا بالنظر إلى انحرافات العالم المعاصر في الفكر الصوفي وفي نهاية حياته في التمارين الروحية والتأمل؟

3. الأخلاق أو التوافق بين الفكر والوجود

حاول سقراط وفروم في حياتهما الخاصة تجسيد الأفكار التي كانا يدافعان عنها. قبل سقراط الموت لكي يؤكد المبادئ أو الأفكار التي كان يؤمن بها ويدافع عنها ضدا على المجتمع حيث عاش: "في ملاحم les Mémoires de Xénophon كنيستيفون يقول هيبياس Hippias لسقراط: عوض التساؤل حول العدل يجب أن تقول لنا لآخر مرة ماهيتها. أجب سقراط: "لغياب الكلام فإنني أظهر العدل في أفعالي." ويضيف بيير هادو Pierre Hadot: صحيح أن سقراط كان

(30)38-Eloge de Socrate, p. 37



شغوفًا بالكلام وبالحوار، لكنه كان يريد أن يظهر بشغف أيضا حدود اللغة. لا يمكن فهم العدل أبدا إذا لم نعشه. وككل واقع أصيل، فإن العدل غير معرف. وهذا بالضبط ما كان سقراط يريد شرحه لمخاطبه لدعوته "العيش" العدل. موضحة الخطاب موضوع تساؤل يقود بالفعل إلى وضع الفرد الذي يجب أن يقرر اختيار ما إذا كان عليه أخذ قرار العيش حسب الضمير والعقل.⁽³¹⁾

وبالنسبة ل فروم، فإن التحليل النفسي ليس فقط علاجًا، لكنه طريق للأخلاق. يقول: "أول مهمة نفكر فيها هي بطبيعة الحال علاج الأعراض العصبية أو ما يسمى بالأعراض العصبية، يعني علاج شخص ما من توقعك أكبر من توقعك معدل الناس. وللحديث بالقليل من الوقاحة، فإن الأمر يتعلق بالسماح لهذا الشخص أن يكون سعيدًا بمعدل الناس الآخرين. وللمحلل وظيفة أخرى من طبيعة روحية: مساعدة شخص ما للوصول إلى الهدف، ليس فقط بالنسبة للبوذي الذي يعبر عنه بالكثير من الوضوح، لكن أساسًا بالنسبة للكثير من الديانات الأخرى... من هذه الزاوية يمكن القول بأن التحليل النفسي هو تخصص أخلاقي أو روحي، يعني أفيون النظر الداخلي في الذات، أفيون العقل."⁽³²⁾

لم يقبل فروم الانضباط للمجتمع الذي عاش فيه ورفض كل تنازل في هذا الاتجاه.⁽³³⁾ إنها مسألة أخلاقية يمكن أن تظهر في عالمنا المعولم والمحكوم بقيم المال مسألة أكل عليها الدهر و شرب.⁽³⁴⁾ يشعر الإنسان

Eloge de Socrate, p. 30(31)

Revoir Freud, p. 167(32)

(33) Revoir Freud, pour une autre approche en psychanalyse, Paris, Armand Colin, 2000. « Pour parler de moi, c'est vrai, je n'ai pas eu beaucoup à n'adapter. En matière de psychanalyse, je voudrais ajouter quelque chose : tout dépend de l'attitude de l'analyste face à la société. La plupart des analystes ont un regard bourgeois face à une société relativement saine, et où l'individu qui s'adapte est considéré comme sain ! Dire d'une personne qu'elle est adaptée, c'est dire qu'elle est aussi folle que la moyenne !. En tant que socialiste et homme critique, je crois que nous vivons dans une société inhumaine, irrationnelle et folle. » (p. 161)



المعاصر حسب فروم بوحداثيته وقلقه، وهو حر، فإنه يخاف من حرّيته. يعيش في حالة فوضوية d'anomie حسب إيميل دوركهايم Emile Durkheim. يقول فروم: "ما بدأ في القرن التاسع عشر يستمر في القرن العشرين بكثافة وسرعة أكبر: تطور النظام الصناعي المعاصر الذي يقود إلى إنتاج أكبر فأكبر ويوجه الإنسان إلى الاستهلاك أكثر فأكثر. فالإنسان يجمع ويستهلك. والتجربة الرئيسية في حياته أصبحت "لي" و "أستعمل" و أقل فأقل "أنا". فالوسائل، يعني الرفاهية المادية - أي الإنتاج، وإنتاج الخيرات يصبح، إذن، غاية. لم يكن الإنسان يفكر من قبل في شيء آخر غير حياة أفضل في حياة مغموسة في الكرامة."⁽³⁵⁾

في الحوارات التي أجريتها معه سنتي 1978 و 1979 اعترف لي بأنه حتى وإن كان إنسان القرن العشرين فإنه كان يحس بتجانس مع العصور الوسطى⁽³⁶⁾.

(34) The Art of Listening, p. 75: "And in fact what are the conditions which are conducive to the healthy development of man is a topic which has usually been treated under the category of ethics in the history of thought. Because ethics is essentially the attempt to show those norms which are conducive to the healthy development of man."

(35) On Being Human, p. 21: "What began in the nineteenth century continued in the twentieth with ever-increasing intensity and speed: the growth of the modern industrial system, which led to more and more production and to increased consumer orientation. Man became a collector and a user. More and more, the central experience of his life became I have and I use, and less and less I am. The means- namely, material welfare, production, and the production of goods- thereby became ends. Earlier, man sought nothing but the means for a better life, one that worthy of human dignity."

(36) Ibid., p. 151-152: « En ce temps-là, un lettré juif n'était pas un rabbin tel qu'on l'entend aujourd'hui, mais un grand érudit qui parfois gagnait sa vie en tenant une échoppe ou comme Spinoza qui faisait un travail d'opticien et parfois acceptait d'être le rabbin d'une communauté qui lui versait un petit salaire. Mais ce n'était pas son activité principale ; il continuait à étudier et à enseigner. Cette tradition a été très importante pour moi. Je me souviens très bien qu'enfant, je trouvais très étrange que des hommes puissent consacrer leur vie à gagner de l'argent. J'étais honteux pour lui qu'il soit contraint de l'admettre ! En ce sens je n'appartenais pas aux temps modernes. »



ونجد الشيء نفسه عند سقراط في القرن الرابع قبل الميلاد المستشهد به من طرف هادو. يقول سقراط في الدفاع السقراطي L'Apologie de Socrate المكتوب من طرف أفلاطون: "لا أهتم بالأشياء التي يهتم بها معظم الناس، مسائل المال، تدبير الخيرات، مسؤولية الإستراتيجيين، النجاح الخطابى في العموم، القضاء، تحالفات، فرق سياسية. لم أتبع هذه الطريق، إذن،... لكن هذه الطريق حيث سأعمل أكبر خير لكل واحد منكم بمحاولة إقناعه بعدم الاهتمام بما يملكه بقدر اهتمامه بماهيته لكي يصبح أحسن وأعقل أكثر."⁽³⁷⁾

ونرى بأن موضوع الامتلاك والكينونة يظهر ويقطع العصور منذ سقراط إلى سبينوزا، ماركس وفروم. وهناك موضوع آخر يقرب الطريقة الفرومية والطريقة السقراطية، ويتعلق الأمر بالحد من المظاهر ومن طعم الحرية، يلتقط هادو: "... قلب القيم الذي يسببه الوعي السقراطي. بالنسبة للذي يهتم بروحه، فإن المهم لا يتموضع في المظاهر، في الزي أو الرفاهية، لكن في الحرية."⁽³⁸⁾ أما بالنسبة لفروم: "يجب أن نكون نقادا وأن نكشف عما يختبئ وراء المظاهر. لا أعتقد أنه يكون بالإمكان فهم شخص ما، فردا، بدون أن نفهم وننتقد القوى المتحكمة في المجتمع الذي طوع هذا الشخص، الذي يكون طبقا لها *qui en a fait ce qu'il ou elle est*"⁽³⁹⁾ والتصعيد هو نتيجة الإخفاق في تأكيد الحرية الخاصة، وهو بالتالي نتيجة الحاجة لإيجاد مثال للعبادة والاعتقاد فيه لتجاوز الخوف وعدم اليقين فيما يتعلق بالعالم."⁽⁴⁰⁾

(37) Eloge de Socrate, p. 31-32.

(38) Eloge de Socrate, p. 49.

(39) The Art of Listening, p. 102.

(40) The Art of Listening, p. 119.



يتساءل فروم في كتابه "المظاهر العلاجية للتحليل النفسي": "ماذا تعني معرفة النفس بالنفس؟ إن معرفة النفس بالنفس لا تعني فقط الوعي بما نعمله، لكن الوعي بما لا نعيه، بما لا نعرفه. وفي معنى من المعاني، فإن الاكتشاف الكبير لفرويد هو أنه أظهر هذا وشرحه جيدا وأوضحه بطريقة لم يسبق لها مثيل موسعا بذلك، بطريقة كبيرة، ميدان معرفة النفس بالنفس. 'معرفة النفس بالنفس' كانت تعني، قبل مائة سنة أساسا، معرفة كل ما يمكن معرفته عن النفس. ويعني هذا اليوم معرفة النفس في حدود وعينا بذاتنا، ولكن أيضا في حدود عدم وعينا بها، يعني إضاءة أوسع الميادين في حياتنا النفسية – يعني هذا الميدان الذي يشتغل باستقلال عن فكرنا الواعي العادي، هذا الميدان الذي يظهر على الحلبة في الليل عندما نحلم أو في الذهان la psychose عندما نكون في هذيان.

ويمكن وصف هذه الصيرورة بطريقة أخرى. معرفة النفس بالنفس في هذا البعد الجديد، في هذا البعد الثالث للحياة اللاواعية الشخصية، يعني أن يكون المرء حرا، يعني الاستيقاظ. وكون أغلبية الناس هم نصف نيام في الوقت الذي يعتقدون فيه أنهم مستيقظون هو واقع فعلي".⁽⁴¹⁾

(41)The Art of Listening, p. 170171-: What does it mean to know oneself? To know oneself is not only to be aware of what is unconscious to us, of what we don't know. This is in a way the great discovery of Freud to have demonstrated this and to have made it very explicit, more explicit perhaps than it has ever been made, and to enlarge thereby the field of knowing oneself considerably. "Knowing oneself" a hundred years ago meant essentially to know everything we know about ourselves. Today it means to know ourselves inasmuch as we are aware of ourselves and inasmuch as we are unaware of ourselves; that is to say, to bring to the light the largest sector of our own psychic life – namely that sector which operates separated from our normal conscious thinking, that sector that comes on to the stage at night when we dream, or in psychosis when we hallucinate. You might also describe it in a different way. To know oneself in this new dimension, in this third dimension of one's unconscious life, means to be free, means to wake up. The fact is that most of us are half asleep while we believe ourselves to be awake.



4. الحوار آلية الانفتاح على الآخر

منذ اليونان، القرن الخامس قبل الميلاد إلى اليوم، فإن طريق الإنسان الغربي كما وصفه فروم وكما اتبعه هو نفسه، يعكس قيما إنسانية يريد لها الغرب أن تكون كونية. من الديمقراطية الأثينية – التي كانت ميزاتهما محصورة على الإغريق فقط ونعت الآخرين "بالمتوحشين" – إلى الديمقراطية الغربية الحالية، فإن المسار كان هو الانفتاح التدريجي لهذا النظام السياسي للجميع، دون أن يكون قادرا على التنازل عن رفض الآخر كغريب، إنسان، ثقافة أو دين آخر، "المتوحش الجديد". فالعنصرية و الإقصاء، الجوهرية l'essentialisme والرفض حاضرة بقوة في كل المجتمعات. والاستناد إلى الدين لتبرير الفعل السياسي ونعت "المسلم بالشرطياني" وشعارات محور الشر ومحو الخير هي تعابير لهذه العنصرية.

استنكر فروم أكثر من مرة هذه الانحرافات للسياسة الغربية مؤكدا على الطابع النيكروفيلى nécropophile [الهدام، المحب للتخريب والموت، إضافة المترجم] لهذا السلوك الذي يريد فرض التفوق الغربي بالقوة والعنف. ألسنا في تغيير خطير لمجرى التاريخ، حيث إن صدام الحضارات هو كارثة هذه الطرق المسدودة للسياسة؟

لقد ذهب أميركا السيد بوش في حرب ضد الإسلام، كما عملت في الماضي ضد الاتحاد السوفياتي، محدثة كوارث في الشرق الأوسط وإخفاقات للسياسة الأمريكية قد تكون أخطر من حرب الفيتنام. وتعلو اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر فأكثر أصوات نقدية اتجاه سياسة ضد المبادئ التقليدية لأمريكا كإناطول ليفان Anatol Lieven



و جون هولسمان John Hulsman اللذين يدعوان إلى مقارنة متجددة
"لواقعية الأخلاق" في استمرارية فكر جورج كينان Georges Kennan
وهانس مرغينتو Georges Kennan.⁽⁴²⁾

ومن أجل مقاومة أصل هذه الانحرافات الغربية، فإن فروم ذكر
جذورها: القبلية والوطنية التي تبعتها. يؤكد، باستمرار في كتاباته على
وحدة البشر، ويمكن أن نقرأ في "مبدئه الإنساني" التالي: "أعتقد أن
المرء يشعر بالمساواة عندما يتعرف - وهو يرى بطريقة كاملة نفسه-
بأنه مساو للآخرين ويتطابق معهم. فكل شخص يحمل كل الإنسانية فيه
و 'الوضع الإنساني' فريد وهي نفسها لكل بغض النظر عن الاختلافات
في الذكاء والموهبة والطول واللون إلخ."⁽⁴³⁾ فل فروم الثقة في الفرد وفي
قدراته في التفكير النقدي والمقاومة، وهذه خاصية أساسية للإنسان
الغربي منذ سقراط إلى اليوم مروراً بإنسان النهضة والأنوار.

ألا تعتبر صعوبة الظهور الفعلي للفرد ولل فكر النقدي أمام الأسس
الصلبة للأنساق العائلية وسلطة العشائر والقبائل والجماعات في
المجتمعات العربية الإسلامية من الغرب إلى الشرق أحد التحديات
الكبيرة لمن يستلهم كتب فروم؟⁽⁴⁴⁾ . أعتقد أن المشكل الذي نلتقي
به في حوض البحر الأبيض المتوسط هو مشكل أنثروبولوجي أقل منه

(42) Anatol Lieven and John Hulsman, *Ethical Realism, A Vision for America's Role in the World*, Pantheon Books, New York 2006.

(43) On Being Human, "Some Beliefs of Man, in Man, for Man", p. 103: "I believe that equality is felt when, completely discovering oneself, one recognizes that one is equal to others and one identifies oneself with them. Every individual bears humanity inside himself; "the human condition" is unique and equal for all men, in spite of the inevitable differences in intelligence, talent, height, color, etc."

(44) Magdi Abdel Hafez Saleh, « L'individu et la société arabo-musulmane », in *Etats et Sociétés de l'Orient arabe en quête d'avenir, 1945-2005*, Fondements et sources, sous la direction de Gérard D. Khoury et Nadine Méouchy, Editions Geuthner, Paris, décembre 2006.



مشكلا دينيا أو سياسيا. كمتوسطين فإن أصلنا كلنا تابع لثقافة توحيدية، لكن التطور الاقتصادي والفردية مغاير بالنسبة للعالم الغربي. ودون ظهور الفرد والفكر النقدي في العالم العربي الإسلامي، فإن هذا الأخير سيظل على هامش الحدأة ومعزولا عن مسؤولية مستقبل العالم للجميع، هذه المسؤولية التي تضرب بجذورها في اليونان والديانات الإبراهيمية.

ويذكرنا بيير هادو Pierre Hadot بذكاء: " يمكن القول إن سقراط هو أول فرد في تاريخ الفكر الغربي ... ويقول ألسيبياد Alcibiade بأنه لا يمكن مقارنته بأي شخص آخر وعلى الأكثر بالسيلانسيين Silènes والساتاريين [شخص خرافي يوناني نصفه بشر والنصف الآخر ماعز، إضافة المترجم]. إن سقراط هو الفرد، الوحيد، هذا الفرد العزيز على كيركيجار Kierkegaard إلى درجة أنه كان يود أن يكتب على قبره الشخصي: " كان الفرد"⁽⁴⁵⁾

ويعتبر فروم في نظري فريدا من نوعه كممثل للفرد المولود في التقليد اليوناني-اللاتيني واليهودي المسيحي وفي إرث الأنوار. إنه كائن استثنائي، كائن أصيل، وهو من بين الكائنات الإنسانية القليلة التي تمارس القيم التي تؤمن بها في الحياة الشخصية. هذه هي القناعة التي اكتسبتها من لقائي معه لأول مرة في كويرنفاكا Cuernavaca [بالمكسيك، إضافة المترجم] وبلوكارنو-مورالتو Locarno-Muralto [بسويسرا، إضافة المترجم].

وكما رأينا في هذه المقارنة بين سقراط وفروم، فإن "اعرف نفسك

(45)Eloge de Socrate, p, 39-40



بنفسك" اليوناني⁽⁴⁶⁾ المفتوح على الروح، على النفس قد تعمق باعرف نفسك بنفسك الفرويدي المفتوح على اللاوعي، بفضل الحوار والمعرفة -الواعية واللاواعية-. لكن معرفة النفس ما هي إلا مقدمة الصحة والحكمة اللتين تعتبران الهدف الأسمى للكائن.

يعتبر فروم كمكمل للفلسفة اليونانية باعنا لسقراط لأنه استطاع الإبقاء على ضرورتي معرفة النفس والأخلاق. ففكره الثاقب وتشبثه الفكري والسياسي وضعاه على الدوام بعيدا عن النظام القائم l'establishment. فقد ناضل، سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو في أوروبا، من أجل إبقاء مبدأ سياسي في استمرارية للإرث الإنساني، حيث يعترف بانتماء الإنسان وكل الناس، بغض النظر عن أصلهم وجنسيتهم، إلى نفس الإنسانية، وليس كأضداد يفرقون بحيل سياسية تستعمل الدين والثقافة كأداة لتفريق الناس من أجل السيطرة و التسلط عليهم.

في محاضرة له بكاليفورنيا يوم 4 أبريل 1962 عبر فروم عن تصوره لإنسانية جديدة كشرط لعالم واحد. وقد كان هذا النص تحذيريا كالكثير من الأفكار الراديكالية لإريك فروم. فبعدهما وضع ظهور هذا العالم الموحد بالتصنع العام ووسائل الاتصال، فإن فروم ندد بالقبلية الممثلة في القومية المفرطة، وحذر من العواقب التي يمكن أن تلاقينا: "إن

(46) François Chatelet, Platon, Idées, Gallimard, Paris : « La célèbre formule de Socrate : « Connais-toi toi-même » a été interprétée de multiples manières ; elle sert , en particulier, naguère et aujourd'hui, à couvrir les pires platitudes introspectives et 'humanistes' Sans doute signifie-t-elle, plus simplement et plus profondément, aux yeux de ceux qui l'avaient prise alors pour principe, que l'individu, afin d'assurer son autonomie et sa satisfaction, doit savoir ce qu'il veut vraiment quand il veut, ce à quoi le destine son statut d'homme ! Sans doute veut-elle dire que le chemin de l'Etre authentique et la conduite bonne passe par une correcte appréciation de la relation que chacun entretient avec ce qu'il est et avec ce que sont ceux avec qui il est en société ! »



القومية ستخلق، إلا إذا تعلم الإنسان أن يعيش كإنسان واحد ينتمي
لعالم واحد، الشروط والأوضاع حيث سيكون الإنسان في خطر هدم
نفسه بنفسه. و إذا لم تطور إنسانية جديدة، فإنه لن يكون هناك عالم
واحد."

ويبقى هذا النضال من أجل نزعة إنسانية جديدة موضوعا راهنا
كالفكر الملتزم لإريك فروم، باعث سقراط.